واقع الثورة التحريرية في الشعر الشعبي الجزائري
بين الثابت والمتحوّل

أ. زين العابدين بن زياني
جامعة البويرة

توطئة:

حرص الأدب الشعبي بصفة عامّة والشعر منه بصفة خاصّة منذ أن وَطِئَتْ أقدام الدخيل الأجنبي تراب هذه الأرض الطيبة على صيانة معالم الشخصية الوطنية، والتصّدي لمحاولات الطمس والذوبان في شخصية المستعمر، الذّي استباح كل الوسائل لتحقيق أهدافه غير المشروعة.

كما يعّد الأدب الشعبي لأيّ أمّة من الأمّم جزءا من كيانها وهويتها الوطنية ووجودها الحضاري، لهذا عمَد الشاعر الشعبي على توعية الجماهير والدعوة إلى التمسك بثوابته، وهذا ما يؤكده "أحمد حمدي" في قوله:«الشعر الشعبي والذّي يسمّى كذلك الشعر الملحون جزء هام من الذاكرة الشعبية، ومقوّم أساسي من مقوّمات الشخصية الوطنية، ظل المرآة الصادقة التّي لم تستطع أن تعبث بها يد الاستعمار الذي عمل كلّ ما في وسعه لتدمير كل مقوّمات هذا الشعب، وكلّ ما يعبر عنها منذ أن وطئت أقدامه أرض الجزائر المجاهدة»[1].

ونقصد بالثابت في هذه الدراسة: مجموع القيم والمبادئ الإيجابية المشكلّة لشخصيّة وهوّية المجتمع الجزائري، التّي تميزه عن باقي المجتمعات الإنسانية، « والثابت هنا لا يخرج عن العقيدة الإسلامية المؤيدة بلغة خاصة، وبوطن ذي ثوابت جغرافية وتاريخية وحضارية معينة وبالثورة التحريرية الكبرى»[2].

أمّا المتحوّل فنعني به مجموع القيم والمبادئ السلبية، التّي تشّكلت في ظلّ التّحولات الحضارية للمجتمع الجزائري، إثر تعلقه بثقافة الآخر، وتلاشي القيم والمبادئ المشكلة للهوّية الوطنية، ممّا أدى إلى تغيب الثابت.

وتسعى هذه الدراسة إلى قراءة بعض النماذج الشعرية الشعبية، من خلال ملاحظة الواقع المعيش للذّات الجزائرية في مرحلتين مختلفتين، أوّلهما مرحلة الثورة التحريرية وثانيهما مرحلة ما بعد الاستقلال، لتحديد تجليات ثنائية الثابت والمتحوّل، فما هي دواعي هذه الثنائية ومظاهرها في الشعر الشعبي الجزائري؟

1- مرحلة الثابت (الثورة التحريرية):

إنّ الثورة تعد قيمة ثابتة، وهي في مفهومها العام: «حركة تغيير شاملة يقوم بها الإنسان لإثبات الذات»[3]، وعلى أساس هذه المرجعية اندلعت الثورة التحريرية، كرّد عنيف من قبل الشعب الجزائري ضدّ الاستعمار الفرنسي من أجل إثبات هويته المفقودة، كما يقول "أحمد طالب الإبراهيمي" إنّها: « كانت نتيجة للكفاح الذّي خاضه الشعب بأسره ضدّ الاحتلال الأجنبي من أجل استعادة أرضه ولغته وتاريخه وثقافته، وباختصار من أجل إثبات شخصيته الأصيلة التي طالما حاربها الاستعمار»[4].

والحديث عن مرحلة الثورة في الأدب الشعبي الجزائري عامّة والشعر منه بصفةً خاصّة معين لا ينضب، ولعّل السبب في هذا يعود إلى اعتبارها مكوّنا أساسيا من مكوّنات الثابت، والانتماء الثقافي والحضاري للشعب الجزائري،« ولعّل قصائد الملحون تشكل جزءًا هامًا وكبيرًا من هذا الأدب الذّي يعدّ أحد ملامح تاريخنا، وأحد الأجزاء العامّة منه، فهو يشكل وجها من وجوه الحياة التّي عشناها ونعيش جزئياتها، ليظل شعبنا ممتلكًا لمقومات وجوده»[5]

وقد جسّد الشعراء شهامتها وإنسانيتها بنبرات فنية، تتفاوت بين الانفعال والتفاعل، وقد تمكن الشاعر الذّي عاش لهيب الثورة، من هزّ وجدان الجماهير الشعبية، وزرع في نفوسهم حبّ الوطن وحثّهم على الجهاد، لما له من أجر عظيم عند الله تعالى، كقول أحد الشعراء في قصيدة عنوانها: "في بلادك والقهر عليك غزير"[6]:

أنسيت دينك وأنسيت أهلك والغير أنسيت حتى أمك اللي هي أرضك الحنينة

الكافر قدامك عايش في الخير وأنت عايش في الذل والغبينة

قوم من نومك وحتى أنت غير باش تحيى وتشرف أرضك العزيزة

جاهد يا عبد وكونك غزير راها حاجة في الدنيا ما تواتينا

لو تعلم بقيمة الجهاد كيفاش تصبر وقيمة الوطن محرر يا أخينا

امتاز الخطاب الأدبي الشعبي من خلال هذه الأبيات، بقدرة شعرية قوّية كان لها الأثر العميق في إيقاظ الروح الوطنية، وحثّ الشعب على صيانة معالم الثابت، المتمثل في دينه وأهله وأرضه، ولا يتأتى له ذلك إلاّ بالجهاد في سبيل إثباته، من خلال «نقد الواقع الذي يعيشه الشعب محاولا استنهاضه، فاستغل الشاعر المناسبة الدينية التي تجمعه مباشرة بالجمهور وهي فرصة لبث أفكاره وإشعال حماس الشعب ليخوضها ثورة مسلحة، إذا أراد أن يعيش حرًّا كريمًا»[7]، حقًا إنّ الشاعر الشعبي أراد أن يقوم مجتمعه على مبادئ وقيم ثابتة فيها الشرف والكرامة لمواجهة الآخر الذّي أراد طمسها،« رغم كونه انسانًا لم يحظ بثقافة عالية، ولكن تمسكه بالدّين الإسلامي وتشبعه بتعاليمه السامية، وانصهاره في بيئة دينية، كلّ ذلك جعله ينظر إلى هذه البيئة على أنّها وحدة متفاعلة، متجاوبة ومتعاونة على أساس من الدّين والخلق والمودّة»[8] .

ويتضح لنا من خلال هذه الأبيات، أن صورة الثابت الذّي شكّل واقع الثورة التحريرية استقى الشاعر معانيها ومضامينها من روح الدّين الإسلامي، ذلك أن الاحتلال الفرنسي في نظر الشاعر الشعبي كان كافرا غازيا للإسلام «منطلقا من إيمانه القوّي الذّي يربطه بعقيدته الإسلامية من جهة، وبوطنه الذّي يدافع عنه بكلّ تفان وصمود»[9]، وهذا يدّل على أنّ الشاعر كان يعي دور الوازع الديني في تحريك الهمم وبعث الحماس وروح المقاومة.

كما لم يكتف الشاعر الشعبي بنقل وتأريخ الأحداث والوقائع بلسانه، بل كان فاعلا ومجاهدا بسلاحه، وكان شعره حاضرا متأججا بلهيب الثورة، نبعًا من روح إسلامية أصيلة واعتزاز بحبّ الوطن، فشكل هذا الشعر بالنسبة إلى الذات الجزائرية «متنفسًا من الاحتقان والمعاناة التّي سببها الاستعمار الفرنسي، كما أدى دورًا خطيرًا في الحفاظ على قيم الهوّية الوطنية ودعم القيم الاسلامية والدعوة إلى الكفاح ضد المستعمر»[10]، الذّي أكدّها الشاعر الشهيد "سِي الْمَصَدق" من خلال مشاركته في معركة "جبل مناور" قائلاً [11] :

أبقوة ربي ننتصر على كيدهم الكافر والله ايكون عون الصابرين

اتفقنا درنا العهد مسطر على ذا الأمر نسير ما دمنا حيييييي حيين

يدعو الشاعر في هذه أبيات إلى تأكيد وترسيخ قيمة الوطن، كعامل ثابت ناضل من أجله الثوار، تماشيًا مع مقولة:« إن عشنا فالوطن لنا جميعًا وإن متنا فالوطن لأبنائنا من بعدنا إلى الأبد»[12]، ويؤكد الشاعر الشعبي هذه القيمة بشهادة التاريخ، في قوله [13]:

اشهد ياتاريخ وكتب واسطر أحكي لزمان لل هم حيين

هذا الوطن عزيز واجب يتقدر عليه انضج للحق كلخرين

ولطالت لعمار والوطن تحرر أنعيش فيه حرار في أرضنا حرين

هيا يا ثوار وطن الجزائر للقدام نسير يامنا ضلين

هذه الأبيات تؤكد قيمة الثابت الذّي هيمن على موقف الشاعر"سي المصدق" اتجاه وطنه، قصد إيقاظ الهمم ونشر الوعي الديني والوطني، من خلال بعث «روح إسلامية أصيلة واعتزاز كبير بحبّ الوطن وامتزاج ذلك في وحدة متكاملة، هي التي يؤمن بها الشاعر الشعبي امتدادا لرسالة الإسلام، التي حققها المسلمون الأوائل مما يضفي عليها قدسية في سبيل الحرية والكرامة، ويحفز الإنسان للإصرار على النصر»[14].

وهكذا ارتبط مفهوم الثابت في هذه المرحلة بالدّين والوطن الذّي دافع عنهما الشعب الجزائري بالنفس والنفيس، لأنّ الإسلام في اعتقاد الجماهير الشعبية هو «المعيار الأساسي الذّي يحدّد هوّية انتساب الفرد الجزائري، وليس مجرّد الانتماء إلى الوطن، ومن هنا كان الجهاد في سبيل الله والدفاع عن الإسلام هو الهدف الأسمى من النضال، وبتعبير آخر كانت الفكرة الوطنية مزيجا من العقيدة الدينية والروح الوطنية»[15].

كما سعى الشاعر الشعبي إلى كشف جرائم الاستعمار الفرنسي، الذّي استعمل شتّى الوسائل غير المشروعة لطمس معالم الثابت، مسّلطا على الشعب الجزائري، أبشع أنواع التعذيب والقتل والتشريد، كما فرض عليه سياسة التجهيل والنفي والإقصاء من وطنه، «وعمل المستعمر بخبث على القضاء على كلّ المؤسسات التّي يمكن أن تؤدي دورًا ثقافيًا أو حضاريًا، وكادت العربية والثقافة الإسلامية أن تنجلي نهائيًا، لولا بعض الزوايا وجمعية العلماء المسلمين»[16]، وقد صوّر الشاعر الشعبي "محمد شبيرة"[17] هذه المآسي والمعاناة في قصيدة عنوانها: في "الربعة وخمسين" يقول فيها[18]:

أحرمت شعبنا من ثروتنا جهلت شبابنا ولّى جمّال

أهجرت فلاحنا من أرضنا من مكركم راه هاجر للجبال

أسجنت أباينا وخواتنا واشنقت العديد منهم يا جهّال

وبعد ما صوّر الشاعر الشعبي آثار الاستدمار الفرنسي وما خلّفه من آلام ومآسي يتوّعده بالثأر داعيا ايّاه بلغة النّار والحديد في قوله[19]:

نقسم بالله هو خالقنا نمحي هذا العار ما نخشى قتال

أنشعلها نار نعلن ثورتنا يتفجر بركانها عبر الجبال

كشف الشاعر الشعبي عن محاولات الاستعمار الفرنسي طمس معالم الثابت، لكنّ أبناء جيل الثورة لم يُسَاوِمُوا ولم يستسلموا، وظلوا صامدين في وجه التغيير والذوبان في هوّية الآخر الذّي استهدف «دينه وثقافته وعاداته وتقاليده، وعرّض حياة المواطنين إلى البؤس والفقر، وحوّل أمنهم إلى خوف ورعب وشقاء في محاولة القضاء على ما يؤكد أصالة هذا الشعب ومكانته في التاريخ»[20].

إذن يمكن أن نستشف من خلال هذه النماذج الشعرية الشعبية، التي تمثل واقع الثورة كافة مقوّمات الثابت، وهذا دليل على الارتباط الداخلي الوثيق بين أفراد الشعب الجزائري وطناً ولغةً وديناً، وتتجلى هذه القيم والمبادئ عند الشعب الجزائري من خلال «ارتباطه بالقضايا الوطنية التي يعيش عليها شعب يريد الاحتفاظ بمقوماته النفيسة وذخيرته الروحية وطابعه الأصيل»[21].

ويتّضح لنا أنّ الشعر الشعبي الثوري ساهم في توحيد الشعور الجمعي وإفشال سياسة الاستعمار الذّي أراد طمس هوّية الشعب الجزائري، التّي تعدّ مكسبًا ثابتًا خلّد معانٍ وقيمٍ سامية ناضل وكافح في سبيلها الآباء والأجداد، وقدّموا النفس والنفيس فداء لها لكي يستلهم منها جيل ما بعد الاستقلال ثوابته.

ونأتي إلى المرحلة الثانية من هذه الدراسة، أو الشق الثاني من الثنائية التّي يشهدها زمن ما بعد الاستقلال أو مرحلة المتحوّل، المتمثل في غياب وانهيار القيم والمبادئ التي تؤسس لهوّية الشعب الجزائري في ظل التحوّلات –السياسة والاجتماعية والاقتصادية والثقافية– التّي يعرفها المجتمع الجزائري في هذه المرحلة.

2– مرحلة المتحوّل (ما بعد الاستقلال):

إنّ لبنية المجتمع الجزائري التي تأسست أثناء الثورة التحريرية، وشكلت الهوّية الوطنية والحضارية للشعب الجزائري المسلم دورا أساسيا في صياغتها، بدأت تتحطم وتتهاوى بعد الاستقلال، حيث وجد المجتمع الجزائري نفسه «محاطًا من جديد بحضارة الغرب وثقافته وعاداته وتقاليده، ونسي الثورة وملايين الشهداء»[22].

وتبعا لذلك فإن المرجعية الثورية المشكلة لهوّية الشعب الجزائري، ديناً ولغةً ووطناً، قد غدت بعد الاستقلال هدفا لغزو إيديولوجي مؤيد بالفكر الغربي، وقد صاحب هذا التحوّل هزّة عنيفة زعزعت ثوابت الوجدان الشعبي، وفي ظل غياب الثابت بسبب هذا التحوّل الذّي طرأ على المجتمع الجزائري في هذه المرحلة ، وجد نفسه داخل « سياج حضاري غريب تغيب فيه حريتهم ولسانهم الذّي هو اللغة العربية، ويفرض عليه وطنا مغايرًا ولغة مغايرة»[23].

ومن الظاهر أنّ المجتمع الجزائري لم يتخلص بعد الاستقلال من أطماع وأهداف الآخر الذّي يترصّده دومًا بهدف القضاء على ثوابته، وتبعًا لهذا لم يكن الشعب الجزائري« سيّدًا على أرضه، حرًّا في تصرفاته وفي رسم آماله، بل شاركه(آخر) أجنبي عن التربة، ولم يكن لمشاركته(الآخر) دور إيجابي أو خير، بل كانت تلك المشاركة تبغي بث الفرقة والتناحر والتضاد بين خلايا الذّات الواحدة»[24].

وفي خضم هذا الخطر الذّي يهدّد ثوابت الشعب الجزائري، أدرك الشعراء الشعبيون ذوي الانتماء الوطني، أن لهم رسالة مقدسة يحملونها بأمانة وإجلال نحو وطنهم الغالي، قد لا تقل أهمية وخطورة عن حمل السلاح كما كان في زمن الثورة، فكانت الكلمة الصادقة الوسيلة الوحيدة لتوعية أبناء هذا الجيل، بضرورة صيانة معالم الشخصية الوطنية الجزائرية، والتّصدي لمحاولات الطمس والذوبان في شخصية الآخر.

وهذا ما يؤكد أنّ الشاعر الشعبي في هذه المرحلة، تغيّر بدوره حسب ظروف ومعطيات الحياة الجديدة، لكنّه بقي وفيًا لدوره ومهمته الوطنية في استنهاض وتوعية أبناء هذا الجيل، وأن يواكب انفتاحه على زمن الاستقلال، انطلاقا من مفاهيم خاضعة ومستمّدة من زمن الثورة، كما فعل شاعر الأوراس "الصادق غربي"[25] في قصيدة "ثورة التحرير"[26] التّي تعد حسب قوله تنبيها لأبناء هذا الجيل: «لكي لا ينسوا تاريخهم وتاريخ أجدادهم الذين قدموا الكثير والكثير من أجل استقلال الجزائر، ونيل الحرية الغالية، التي لم تقدم لنا عن طبق من ذهب، والتي أصبحت أمانة في أعناقنا، يجب المحافظة عليها، وتجنب الغفلة وأخذ الحيطة والحذر، والتشبث بهذا الكنز الذي تمناه أجدادنا وكثيرهم غادر الحياة و لم يراه»[27].

فقد استلهم الشاعر الشعبي "الصادق غربي" صورة الثورة التحريرية، كنموذج مثالي في ظل انهيار القيم وتلاشي الهوّية ، لبعث مقومات الثابت المفقودة من جديد «الكامنة في أعماق التاريخ، فيصبح الموقف البطولي الحيّ ذروة الوعي التاريخي... وتتلاشى الفواصل الزمنية، ويتعانق الموقفان البطوليان في الماضي والحاضر، وتنصهر الشخصية التاريخية في الشخصية المعاصرة»[28].

وتتحوّل رسالة الشعر الشعبي في هذه المرحلة من عملية استلهام صورة الثورة كتاريخ وماضٍ إلى تجسيدها في واقعٍ حيّ مؤلم ومظلم، لبناء مستقبل مؤسس على دعائم ثابتة أساسها مقوّمات الهوّية الوطنية.

كما يذّكر"الصادق غربي" أبناء هذا الجيل بتاريخ وأمجاد وبطولات جيل الثورة، قائلاً[29]:

كي تقرا التاريخ تسعد وتفرح أو تعرف أصلك يا ولد الثوار

تاريخ الأسود طالع وأصفح أدرس مليح وأوردلي لخبار

تاريخ الرجال بصدورها تنطح هبطو الطيارة ودمرو ليشار

تـــاريخ الأجداد ما نيش نـــــمزح وســـأل الجـــــدّة تحكـــيلك وصـــــار

يبيّن الشاعر من خلال هذه الأبيات أنّ قيمة التاريخ تبقى راسخة في الذاكرة ومنقوشة في الوجدان الشعبي، ومن حقّ جيل ما بعد الاستقلال أن يفتخر ويعتز بأصله وتاريخه «لأن حياة أيّ أمّة من الأمّم لا تتّم إلا عبر الاعتزاز بتراثها والاستنارة به»[30].

كما يذكرهم أيضًا أنّ تاريخهم لم يدوّن من العدم، بل دفع جيل الثورة ضريبة غالية من أجل نيل الحرّية والكرامة التّي ينعمون بها ، وهي مناسبة للشاعر كي يفضح جرائم المستبد، الذّي أراد طمس ثوابت الأمّة، وهي الّدين واللغة والوطن، وقد استرجع الشاعر صورة هذه المآسي في قوله[31]:

حزنوا من جالك باش أنت تفرح تربطوا بالسيلان دبحو بالمنشار

شربو الصابون بالرغوة يصلح أمثال الخشاب دقوا بالمسمار

وعداد الشهداء بالكثرة تشرح مليون ونصف مليون ذار هو دمار

حرمونا ملعلم واحد ما ينجح المصحف أدنس مبقالو أثار

متذكر صلاة ممنوع تسبح المساجد رجعو كنيسات كبار

ولعلّ أول ما يلاحظه الباحث في الشعر الشعبي- بخصوص مضامينه ووظيفته- هو «ما أدّاه من دور سياسي يتعلق بتغنيه بقيم المجتمع وبعناصر هويته، وما عبّر عنه من معاناة الإنسان الجزائري من جراء المحتل وجبروته واغتصابه لحقه في الحياة الكريمة»[32] ويختّم الشاعر"الصادق غربي" قصيدته بنصيحة يدعو من خلالها أبناء هذا الجيل إلى ضرورة صيانة وحماية ثوابت الأمّة، وذلك عن طريق التسّلح بالعلم، وأخذ الحيطة والحذر من العدّو الذّي يترصده دوما من أجل القضاء على ثوابته، قائلا[33]:

نُوصِيكْ أَوْلِدي بَالعِلْمْ أَتْسَّلَحْ وحذاري أو بلادك معدوك

عمرو لا يهنى وانتيا تمرح وحرب العقيد ألتفنى لأعمار

ذا الكلام الجبار لي بيه أمصرح ورجع للقرآن تفهم بختصار

إنّ الشاعر الشعبي حينما يذّكر أبناء هذا الجيل بثوابته، الدّين واللغة والوطن، إنّما هو يُبيّن غياب وتلاشي هذه القيم والمبادئ في هذه المرحلة.

وفي خضم هذا الواقع المؤلم، استدعى أيضًا شاعر الثورة والوطن "أحمد بوزيان"[34] صورة الثورة لبعث الثابت الغائب من جديد في ظل تلاشي القيم، والتّي « لم ينس فيها أصحابه يوما أن الثورة طريق الخلاص، وأنّها مفتاح لجنّة تدعى (وطن والعربية والإسلام)» [35].

يقول الشاعر في قصيدة "دموع وشموع"[36].

ثورتنا ثورة وتاريخ مرصع الشهداء مضاوها والوطن دعا

كل المعمورة بثورتنا تسمع وحنا اللي هدينا الشوايع والشيعة

ذيك الثورة خصالها تشفع وحنا اللي عندنا حق الشفعة

ذيك الثورة جراحها تبقى مرجع في العالم ما زال طلعتنا طلعة

تعدّ الثورة عند الشاعر "أحمد بوزيان" مرجعًا هامًا ومعينًا لا ينضب في ترسيخ ثوابت الشعب الجزائري وهي«تعد تعبيرا صادقا عن الآلام المبرحة التي أدمت الوطن طوال السنوات الماضية، وعرفت كيف تنقل صورة ذلك الماضي القريب... لكي تعرضها على عين المواطن عرضا جديدا، يستخلص منه ما عليه من واجب في بناء الحاضر والمستقبل فكانت خير شاهدٍ على التحوّل الذي عرفته البلاد» [37].

وحين يذكّر الشاعر"أحمد بوزيان" أبناء هذا الجيل، بتاريخ وأمجاد وبطولات الثورة فهو يبيّن غياب المبادئ والقيم التّي اندلعت من أجلها، فهو بحق من الشعراء اللذين «يتبوؤون مكانة الوطني المخلّص، أو النموذج الوفي الذّي من حقّه أن ينقد أو يحاسب أو يحذّر وينذر، وبعبارة أوضح من حقّه أن يحاكم كلّ من تسوّل له نفسه أن يعبث بقيم الوطن وثوابته» [38].

وفي ظل تلاشي القيم الثابتة وجد المجتمع الجزائري نفسه في هذه المرحلة أمام صراع جديد مع مستعمر يختلف شكلا عن المستعمر في زمن الثابت، لكنّه يتفق معه في الهدف إنّه الغزو الثقافي الذّي طمس وسلب ثوابت أبناء هذا الجيل.

ويقف الشاعر الشعبي"عبد الحميد عبابسة" [39]على آثار هذا الغزو الجديد في قصيدة عنوانها "الغزو الثقافي المنجوس" قائلا [40]:

خرجو على الباب دخلو على الطاقة بأمراضهم الفكرية

شبانه الحدود تعدات الخمر والمخدرات

تركو التقاليد والعادات فقدو الروح الوطنية

الغزو الثقافي كاسيهم ابليس بأخلاقه يلعب بيهم

في الدين والوطن منسيهم تايهين وعقولهم ساهين

يعدّ هذا الغزو بحقّ أكبر خطورة من الغزو السابق، الذّي كان في مرحلة الثورة، إذ إنّ الواقع يثبت أنّ الاستعمار إنهزم عسكريا لكنّه لم ينهزم ثقافيا، إنّه استعمار جديد بشكل جديد هدّم أخلاق وطبائع أبناء هذا الجيل، وجعلهم ينسون تاريخهم وعاداتهم وتقاليدهم ودينهم، وكلّ شيء جميل يشكّل قيم ومبادئ الثابت، حتّى اللغة العربية التّي تعدّ« كقيمة وطنية فاعلة في بناء الذّات وسلامتها وشدّة تماسكها، وهي اللغة التّي تعرضت لهزات عنيفة أفقدها السلطة على اللّسان السائد في الوطن»[41]، لم تسلم من الغزو الثقافي الأجنبي، الذّي استبدلها بلغته في عقر دارها وعلى لسان أهلها، فأضحت غريبة في وطنها، على حدّ قول الشاعر في قصيدة "يا لطيف من بعض القوم"[42]:

تركو اللغة العربية يتكلمو بالأجنبية

وتكمن خطورة هذا الغزو في توريثه للأجيال الجديدة «فأصبحت تطعن جهارا نهارا في هويتها الخاصّة، وتتبجح بقابليتها لإنتماء إلى الآخر الذّي لا تربطها به أية رابطة حقيقية ما عدا رابطة التبعية المطلقة الناتجة عن الخيانة التاريخية»[43].

وتعدّ القصيدة الشعبية في زمن المتحوّل صرخة مدوّية تعبّر عن الواقع المرّ والمؤلم الذّي يعيشه أبناء هذا الجيل، كما تمثّل الصوت الواقعي الذّي يسعى إلى تغيير هذا الواقع كما تطرح القصيدة الشعبية في هذه المرحلة قضية الصراع الإيديولوجي بين ثقافتين متباينتين، ثقافة وطنية محلية وثقافة غربية عالمية، وهذه هي مأساة الجزائر الناشئة.

فأصبح للشعر الشعبي «طاقة تأثيرية قوّية وحضور فاعل ضدّ محاولات الطمس والتذويب » [44]، التي مارسها الآخر بوسائل متعددة، بدأ بالسلاح في زمن الثورة وصولا إلى الغزو الثقافي في زمن ما بعد الاستقلال.

خلاصة:

من بين النتائج التي خلصنا إليها في هذه الدراسة ما يلي:

– حافظ الشعر الشعبي في مرحلة الثورة، عن ثوابت الذّات الجزائرية، وقد استطاع أن يثبت ذاته، وأن يقف في وجه السيطرة الاستعمارية التّي حاولت طمس قيم ومبادئ الثورة، بفضل الوعي الجماعي اتجاه ثوابته(الوطن والدّين واللغة)، وقد جنب أفراد المجتمع في تلك المرحلة سياسة المسخ والتذويب والتغريب، وأذكى في وجدانهم التعلق والتمسك بثوابتهم التّي تعدّ مبدأ من مبادئ الدّين الإسلامي.

– إن موضوع المتحوّل في مرحلة ما بعد الاستقلال واقع فرضته التحوّلات الحضارية الوافدة من الغرب على المجتمع الجزائري، وعلى إثرها غُيّبت ثوابت أبناء هذا الجيل ممّا دفع الشاعر الشعبي إلى ضرورة توعيتهم لصيانة مبادئ وقيم الثورة، من خلال ربط هذا الواقع المؤلم بالماضي المجيد، لأنّه يشكّل المناعة ضد محاولات الذوبان في هوّية الآخر.

وعليه يبقى الشعر الشعبي منبعا ثقافيا، معبّرا عن ثوابت الشعب الجزائري في جميع مراحله، محافظا على دوره التربوي والإعلامي والتاريخي والاجتماعي والسياسي والديني يسجّل من خلاله الشعراء واقعهم بكلّ متغيراته وتحولاته، كما يعّد مادّة أدبية وشكلاً من أشكال المقاومة للغزو المادّي والفكري للحضارة الغربية .

قائمة المصادر والمراجع:

أ. الدواوين الشعرية:

1. أحمد بوزيان، ديوان وحي الوئام، الوكالة الإفريقية للإنتاج السنمائي والثقافي، الجزائر، ط2، 2009.
2. أحمد بوزيان، قصائد للثورة والوطن، الوكالة الإفريقية للإنتاج السينمائي والثقافي، الجزائر، ط2، 2012.
3. أحمد حمدي، ديوان الشعر الشعبي، شعر الثورة المسلحة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، د ت.
4. الصادق غربي، ديوان الشعر الملحون، المواهب المكنونة في القصائد الملحونة، دار النجاح للكتاب، الجزائر، 2012.
5. عبد الحميد عبابسة، الدّر المكنون في الشعر الملحون، موفم للنشر، الجزائر 1996م.

ب. المراجع:

6. أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر ط5، 2007م
7. أحمد الأمين، من فحول الشعراء في سيدي خالد –بسكرة– تراجم ومختارات (دراسة ميدانية)، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
8. بومدين جلالي، العولمة وموقفنا منها، دار الحمراء للنشر والتوزيع والإعلام، سيدي بلعباس، الجزائر، ط1، 2013م.
9. التلي بن الشيخ، دراسات في الأدب الشعبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989م.
10. التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة (1830–1945)، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م.
11. توفيق ومان، الثورة التحريرية في الشعر الشعبي الجزائري، فيسيرا للنشر، الجزائر 2012م.
12. صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
13. عمر أحمد بوقرورة، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر، الشعر وسياق المتغير الحضاري، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2004.
14. منير البصكري، الشعر الملحون في أسفي، منشورات مؤسسة دكالة، الدار البيضاء،المغرب، ط1، 2001.
15. الوناس شعباني، تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945 حتى سنة 1980، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988م.

ج. المجلات والدوريات:

16. أحمد قنشوبة، الشعر الشعبي الجزائري، البداية ومراحله من المسيرة، مجلة الفنون الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ع72–73، أكتوبر2006–مارس2007م.

17. إبراهيم موسى، صوت التراث والهوية (دراسة في التناص الشعبي في شعر توفيق زياد)، مجلة جامعة دمشق، المجلد 24، العدد 1+2، 2008م.
18. أعمال الملتقى الوطني حول مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال فنون القول الشعبية، تيارت 13-14 أكتوبر 2002م.
19. محمد بشير بويجرة، تجليات الأنا والغبن في الخطاب الشعري الشعبي، محاولة في رسم معالم الذات والآخر، "قلبي تفكر الأوطان" نموذجًا، مجلة إنسانيات، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الإجتماعية والثقافية، وهران، ع17-18 ماي- ديسمبر 2002م.

الهوامش

---

(1) أحمد حمدي، ديوان الشعر الشعبي، شعر الثورة المسلحة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد،الجزائر، د ت، ص5-6.

(2) عمر أحمد بوقرورة، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر- الشعر والسياق المتغيّر الحضاري، دار الهدى، الجزائر 200م، ص74

(3) عمر أحمد بوقرورة، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر، ص 76.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) منير البصكري، الشعر الملحون في أسفي، منشورات مؤسسة دكالة عبدة للثقافة والتنمية، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2001م، ص17.

(6) ينظر: أحمد حمدي، ديوان الشعر الشعبي، ص 19.

(7) الوناس شعباني، تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945 حتى سنة 1980، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988م، ص 27.

(8) منير البصكري، الشعر الملحون في أسفي، ص106

(9) توفيق ومان، الثورة التحريرية في الشعر الشعبي الجزائري، فيسيرا للنشر، الجزائر 2012م، ص 22.

(10) أحمد قنشوبة، الشعر الشعبي الجزائري، البداية ومراحله من المسيرة، مجلة الفنون الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ع72-73، أكتوبر2006-مارس2007م، ص62.

(11) ينظر: أحمد حمدي، ديوان الشعر الشعبي، ص 14.

(12) ينظر: أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر، ط5، 2007م ص63.

(13) ينظر: الديوان السابق، ص 15.

(14) عبد القادر خليفي، الشعر الشعبي البطولي ودوره في وحدة المجتمع الجزائري، أعمال الملتقى الوطني حول مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال فنون القول الشعبية، تيارت 13-14 أكتوبر 2002م، ص 157-158.

(15) التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة (1830-1945)، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م، ص 98.

(16) أحمد قنشوبة، الشعر الشعبي الجزائري، البداية ومراحل من السيرة، ص62.

(17) محمد شبيرة، شاعر شعبي من مواليد 1927/10/14م من منطقة باسيف –ولاية المسيلة- نظم هذه القصيدة أثناء الثورة.(ينظر: أحمد حمدي، ديوان الشعر الشعبي، ص 108 وما بعدها.)

(18) ينظر: الديوان نفسه، ص 108.

(19) ينظر: الديوان نفسه ، ص 108.

(20) بوشيبة بركة، الفعل الثوري مظهر من مظاهر وحدة المجتمع الجزائري، أعمال الملتقى الوطني، ص 400.

(21) منير البصكري، الشعر الملحون في أسفي، ص144.

(22) عمر أحمد بوقرورة، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر، ص 90.

(23)المرجع نفسه، ص 84.

(24) محمد بشير بويجرة، تجليات الأنا والغبن في الخطاب الشعري الشعبي، محاولة في رسم معالم الذات والآخر، "قلبي تفكر الأوطان" نموذجًا، مجلة إنسانيات، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الإجتماعية والثقافية، وهران، ع17-18 ماي-ديسمبر 2002م، ص72.

(25) الصادق غربي: شاعر شعبي من مواليد 1965/01/15 بقرية الدراجي بلدية غريل عبد القادر دائرة بريكة ولاية الأوراس، بدأ كتابة الشعر سنة 1979م...(أنظر: الصادق غربي، ديوان الشعر الملحون، المواهب المكنونة في القصائد الملحونة، دار النجاح للكتاب، الجزائر، 2012، ص 3.

(26) ينظر: الصادق غربي، ديوان الشعر الملحون، ص 50-51.

(27) الديوان نفسه، ص 51.

(28) صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 128.

(29) ينظر: الصادق غربي، ديوان الشعر الملحون، ص 50.

(30) توفيق ومان، الثورة التحريرية في الشعر الشعبي الجزائري، ص 45.

(31) أنظر: الصادق غربي، ديوان الشعر الملحون، ص 50-51.

(32) أحمد الأمين، من فحول الشعراء في سيدي خالد –بسكرة- تراجم ومختارات (دراسة ميدانية)، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 27.

(33) ينظر: الصادق غربي، ديوان الشعر الملحون، ص 51.

(34) أحمد بوزيان: شاعر شعبي من مواليد 1962/02/23م بتيارت، له العديد من المشاركات الوطنية في الشعر الشعبي، له ديوان شعري (وحي الوئام). ينظر: أحمد بوزيان، ديوان وحي الوئام، الوكالة الإفريقية للإنتاج السنمائي والثقافي، الجزائر، ط2، 2009.

(35) عمر أحمد بوقرورة، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر، ص 78.

(36) ينظر: أحمد بوزيان، قصائد للثورة والوطن، الوكالة الإفريقية للإنتاج السينمائي والثقافي، الجزائر، ط2، 2012، ص 97-99.

(37) الديوان نفسه، ص 90.

(38) عمر أحمد بوقرورة، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر، ص 78.

(39) عبابسة عبد الحميد: شاعر شعبي من مواليد 1918/12/15م من بلدة بريكة ولاية الأوراس تتلمذ على يد الأستاذ محمد العيد آل خليفة، تنقل كثيرا في حياته من مكان إلى آخر له قصائد في الوطن والغراميات والتاريخ والدين. (ينظر: عبد الحميد عبابسة، الدّر المكنون في الشعر الملحون، موفم للنشر، الجزائر 1996م، (مقدمة الديوان).

(40) ينظر: الديوان نفسه، ص 44-45-46.

(41) عمر أحمد بوقرورة، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر، ص 77.

(42) ينظر: الديوان السابق، ص 42-43.

(43) بومدين جلالي، العولمة وموقفنا منها، دار الحمراء للنشر والتوزيع والإعلام، سيدي بلعباس، الجزائر، ط1، 2013م، ص 27.

(44) إبراهيم موسى، صوت التراث والهوّية (دراسة في التناص الشعبي في شعر توفيق زياد)، مجلة جامعة دمشق، المجلد 24، العدد 1+2، 2008م، ص 105.